

الرَّسَالَةُ ٨١

الخُطَاةُ.. أَوْلَهُمْ أَنَا

(Arabic - Among sinners, I stand first)

أَحْبَائِي.. حَدِيثُنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: الخُطَاةُ.. أَوْلَهُمْ أَنَا

وَمِنْ رِسَالَةِ بُولُسِ الرَّسُولِ الْأُولَى إِلَى تَلْمِيذِهِ تِيموثَاوَسَ نَقَرْنَا مِنَ الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ الْعَدَدِ الْخَامِسِ عَشَرَ:

"صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلُّ قَبُولِ أَنَّ الْمَسِيحَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِخُلُصِ الْخُطَاةِ الَّذِينَ أَوْلَهُمْ أَنَا".^١

إِنَّ الْمَسِيحِيَّةَ وَحَدَهَا دُونَ سَائِرِ الْأَدْيَانِ تَتَطَلَّبُ مِنَ الْمَرْءِ لِيَكُونَ مَسِيحِيًّا أَنْ يَعْتَرِفَ أَنَّهُ خَاطِئٌ وَيَحْتَاجُ إِلَى مُخْلِصٍ.. كَمَا أَنَّهَا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ تَقَدِّمُ حَلًّا لِمُشْكَلَةِ الْخَطِيئَةِ وَكَيْفِيَّةَ الْخَلَاصِ مِنْهَا.. وَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ مَلِيٌّ بِأَمْتَلَةٍ لِبَشَرٍ يَشْهَدُونَ بِالْعَمَلِ الْإِلَهِيِّ فِيهِمْ لِخَلَاصِهِمْ.. وَبُولُسُ الرَّسُولُ كَوَاحِدٍ مِنْ أَوْلَادِ اللَّهِ الَّذِينَ خَلَصُوا بِالْإِيمَانِ يَقُولُ: "صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلُّ قَبُولِ أَنَّ الْمَسِيحَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِخُلُصِ الْخُطَاةِ الَّذِينَ أَوْلَهُمْ أَنَا".

لَقَدْ أَدْهَشَنِي حِينَ كُنْتُ أَتَأَمَّلُ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى تِلْكَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَتَبَهَا بُولُسُ الرَّسُولُ لِتَلْمِيذِهِ تِيموثَاوَسَ بِالْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ الْعَدَدِ الْخَامِسِ عَشَرَ.. وَاعْتَرَفَهُ أَنَّ الْخُطَاةَ أَوْلَهُمْ هُوَ!.. وَأَنْنِي كُنْتُ وَقْتِذَلِكَ حَدِيثَ الْإِيمَانِ عَجِبْتُ لِإِقْرَارِ بُولُسِ أَنَّ الْمَسِيحَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِخُلُصِ الْخُطَاةِ الَّذِينَ أَوْلَهُمْ هُوَ.. فَمَا أَعْرَفَهُ أَنَّ بُولُسَ اسْتَعْدَمَهُ الرَّبُّ بِقُوَّةٍ وَقَدْ رَجَحَ نَفْسًا تَعَدَّى بِالْمَلَايِينِ فِي الْعَالَمِ أَجْمَعَ بِعَمَلِهِ فِي حَقْلِ الْخِدْمَةِ.. وَكَذَلِكَ بِفَاعِلِيَّةِ رِسَائِلِهِ الْقَوِيَّةِ الْمَسْجَلَةِ بِالْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ.. فَكثِيرُونَ نَالُوا الْخَلَاصَ وَتَحَرَّرُوا مِنْ خَطَايَاهُمْ وَسُجِّلَتْ أَسْمَاؤُهُمْ فِي سَفَرِ الْحَيَاةِ بِخِدْمَةِ وَكَرَاةِ وَكِتَابَاتِ بُولُسِ.. فَلَقَدْ اسْتَعْدَمَهُ رُوحُ اللَّهِ بِقُوَّةٍ وَعَمَلٍ بِهِ.. وَمَا زَالَ يَعْمَلُ بِكِتَابَاتِهِ الْمُوحَى بِهَا.. وَقَدْ كُنْتُ أَحَدْتُ نَفْسِي وَقْتِذَلِكَ قَائِلًا: "أَوَلَيْسَ الْقَدِيسُونَ أَوْلَهُمْ بُولُسُ؟!". فَلَمَّاذَا يَقُولُ: "الْخُطَاةُ الَّذِينَ أَوْلَهُمْ أَنَا".

تَسَاءَلْتُ: كَيْفَ تَجْتَمِعُ الصَّفَتَانِ مَعًا: خَاطِئٌ وَقَدِيسٌ؟!.. هَلْ حَاوَلَ بُولُسُ الرَّسُولُ إِصْلَاحَ نَفْسِهِ لِيَتَخَلَّصَ مِنْ خَطَايَاهُ؟.. وَلَكِنْ بِمَعْرِفَةٍ أَكْثَرَ لِكَلِمَةِ اللَّهِ أَدْرَكْتُ أَنَّ بُولُسَ لَمْ يُحَاوَلِ إِصْلَاحَ نَفْسِهِ كَيْ يَصْبِحَ قَدِيسًا. بَلْ كَانَ هَذَا عَمَلًا إِلَهِيًّا وَلَا أَكْثَرَ. مِثَالُهُ مِثَالُ إِشْعِيَاءَ النَّبِيِّ الَّذِي دَخَلَ يَوْمًا إِلَى الْمَقَادِسِ وَإِذَا بِحُضُورِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ يَمْلَأُ الْهَيْكَلَ. وَفِي مَحْضَرِ اللَّهِ أَدْرَكَ إِشْعِيَاءَ حَقِيقَةَ نَفْسِهِ كَمَا جَاءَ بِسَفَرِهِ الْأَصْحَاحِ السَّادِسِ فَقَالَ: "وَيْلٌ لِي إِبْنِي هَلَكْتُ لِأَنِّي إِنْسَانٌ نَجَسْتُ الشَّفَتَيْنِ وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبِ نَجَسِ الشَّفَتَيْنِ لِأَنَّ عَيْنِي رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ".. إِذَا كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ فِي مَحْضَرِ اللَّهِ يَقُولُ عَنِ نَفْسِهِ أَنَّهُ نَجَسْتُ الشَّفَتَيْنِ؟!.. فَمَاذَا نَقُولُ نَحْنُ عَنِ أَنْفُسِنَا؟!.. لَقَدْ نَالَ إِشْعِيَاءَ تَطْهِيرًا وَسَمِعَ مَا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ فِي الْهَيْكَلِ قَبْلَ أَنْ يُبَارِحَهُ.. إِذْ قَالَ لَهُ الْمَلَاكُ: "لَقَدْ انْتَرَعْتَ إِثْمَكَ وَكَفَرْتَ عَنِ خَطِيئَتِكَ".

لَمْ يَكُنْ يُدْرِكُ الرَّسُولُ بُولُسَ أَنَّهُ إِنْسَانٌ خَاطِئٌ حِينَمَا كَانَ يَضْطَهُدُ الْمَسِيحِيَّينَ وَيَفْتَرِي عَلَيْهِمْ.. بَلْ كَانَ يُعْتَبِرُ نَفْسَهُ وَقْتِذَلِكَ أَنَّهُ عَلَى صَوَابٍ حَتَّى ظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ يَسُوعَ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى دِمَشْقَ قَائِلًا لَهُ: "شَاوُلُ! شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهُدُنِي؟!". كَثِيرُونَ يَحَاوِلُونَ بِعَزِيمَتِهِمُ التَّغْلِبَ عَلَى خَطَايَاهُمْ لِيَعِيشُوا أَبْرَارًا أَتْقِيَاءَ خَادِعِينَ أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ الْبِرِّ الذَّاتِي الَّذِي يَحَاوِلُونَ الْحُصُولَ عَلَيْهِ بِأَعْمَالِهِمْ وَلَكِنْ هِيَهَاتُ!.. وَإِذَا بِهِمْ يُفَاجِئُونَ بِالْحَقِيقَةِ الْمُرَّةِ أَنَّهُمْ مَا زَالُوا عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَسْوَأَ. ذَلِكَ حِينَ يَكْشِفُ لَهُمْ رُوحُ اللَّهِ خَدَاعَهُمْ لِذَوَاتِهِمْ وَأَنَّهُمْ رَسَمُوا لِأَنْفُسِهِمْ طَرِيقًا لَيْسَتْ طَرِيقَ اللَّهِ لِلْخَلَاصِ وَالتَّبَرُّيرِ. فَالْأَيْدِي الْمَتَسَخَّةُ لَا تَنْظِفُ ثَوْبًا قَدْرًا.. وَالْإِنَاءُ إِذَا احْتَوَى طَعَامًا فَاسِدًا لَا يُصْلِحُهُ أَنْ نُضِيفَ عَلَيْهِ طَعَامًا صَالِحًا.. فَحَالٌ أَنْ تَشْتَهَى أَنْفُسَنَا أَنْ تَنْدَوَّقَ شَيْئًا مِنْهُ بَعْدَ مَزْجِ الصَّنْفِينِ.

وَلَقَدْ جَاءَ الْمَسِيحُ لِيَقْدِمَ الْخَلَاصَ وَالتَّبَرُّيرَ بِدَمِهِ الْكَرِيمِ وَلَا بِدَيْلٍ لَخَلَاصِهِ وَتَبَرُّيرِهِ. وَمِنْ شَهَادَةِ بُولُسِ الرَّسُولِ نَدْرِكُ أَنَّ هُنَاكَ عِلَاقَةً جَوْهَرِيَّةً تَرْبِطُ بَيْنَ مَجِيءِ الْمَسِيحِ إِلَى الْعَالَمِ وَخَلَاصِ الْخُطَاةِ.. "وَيَكُونُ كُلُّ مَنْ يُدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ". إِنَّ الْمَسِيحَ الَّذِي جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ هُوَ الَّذِي حَوْلَ إِنْسَانًا كَبُولُسَ مِنْ أَوَّلِ الْخُطَاةِ إِلَى

^١ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ١: ١٥ ، سفر إشعياء ٥: ٦-٨ ، استمع إلى الإنجيل

قدّيس.. كما أن حضورَ الرَّبِّ في الهيكل طهرَ إشعياءَ من نجاسةٍ اعترفَ بها إلى برٍّ وقداسةٍ.. وبعدَ حدوثِ التغييرِ يقولُ بولس: "يا رَبِّ ماذا تريد أن أفعل؟" .. ويقولُ إشعياءُ للرَّبِّ: "هأنذا ارسلني!"^١

ليسَ المُهمُّ أينَ تضعُ نفسك في قائمةِ البشرِ. المُهمُّ أنَ تدركَ أنكَ خاطئٌ وفي حاجةٍ إلى مُخلصٍ. المُهمُّ أنَ تعرفَ نفسك على حقيقتها في ضوءِ كلمةِ الله. وأنَ تعرفَ المسيحَ الذي جاءَ إلى العالمِ ليُخلصَ الخطاةَ. سواءً كنتَ اقترفتنا القليلَ أو الكثيرَ مِنَ الخطايا. فمَصيرُ الخاطئِ الصغيرِ كمَصيرِ الخاطئِ الكبيرِ. لأنَّ هذا وذاك في قبضةِ إبليس. ومَصيرُهُما الأبدى هو مَصيرُ إبليس. كلاهُما يحتاجُ إلى الخلاصِ والتحريرِ.. ومنَ اللازمِ لنوالِ الخلاصِ:

أولاً: إدراكُ الخاطئِ لحالتهِ^٢.. لا بمقياسِ بشرىٍ أو عُرفِ سائدٍ أو تقاليدٍ مذهبيةٍ.. بل بالأسلوبِ الذي أدركَ به بولس عندما تقابل مع الرب.. والذي أدركَ به إشعياءَ من قبله في الهيكل.. وهو التواجدُ في محضرِ الله بانكسارٍ. ثانياً: اعترافُ الخاطئِ أنَّه في المسارِ المُضادِ.. لأنَّ إدراكَ المرءِ أنه خاطئٌ لا يكفي ولا حتى اعترافه بخطاياهِ.. ثالثاً: قطعُ ما يربطُهُ بإبليس الذي يُقيِّدُهُ بشهواتِ الجسدِ وإغراءاتِ العالمِ الشريرِ.. وهذا ما يُعرفُ بتوبةِ القلبِ الصادقةِ والرجوعِ إلى الله لنوالِ التحريرِ من خطاياهِ.. ليُخرجَ الخاطئُ من دائرةِ إبليس الذي استعبدهُ واستأسرهُ فكرياً وقلبياً وروحياً.. ولينضمَّ إلى ملكوتِ ابنِ الله الذي جاءَ إلى العالمِ ليُخلصَ الخطاةَ الذين قال عنهم بولس أنه أولهمُ.. وفي دائرةِ الملكوتِ سيجدُ الخاطئُ بعدَ خلاصِهِ (١) الكفايةَ (٢) الحمايةَ (٣) الرعايةَ (٤) الضمانَ إلى النهايةِ.

أولاً: الكفاية.. كثيراً ما يتساءلُ الإنسانُ: ماذا أعملُ وأنا عاجزٌ لا أستطيعُ أن أفعلَ شيئاً صالحاً وقلبي فاسدٌ؟! وهذا حقٌّ.. يقولُ داودُ النبي في مزموره الحادي والخمسين: "قلبي نقياً خلقَ فيَّ يا الله". إنَّ الله هو الخالقُ.. وما كَفَّ عن دوره كخالقٍ.. وحالماً دخلَ الخاطئُ إلى ملكوتِ الله سيخلقُ فيه القلبَ الجديدَ. ولا نسألُ كيف؟. فليسَ لنا أنَ نسألَ الله كيفَ تخلقُ؟. لنا أنَ نسألَ مَنْ اختبروا القلبَ الجديدَ فجميعهم يشهدون أنهم إذ جاءوا إلى الربِ بتقته وإيمانٍ. أجرى الربُ فيهم تغييراً عجبياً وخلقَ الله فيهم قلباً جديداً. وإذ سكنَ فيهم الرُّوحُ القُدسُ لم يجدوا عناءً في طاعةِ وصاياِ الله. فالرُّوحُ القُدسُ يرشدُهم ويُعلمُهُم ويُقويُهُم.. قال الرَّبُّ يسوعُ: "بدونى لا تقدرُونَ أن تفعلوا شيئاً".

ثانياً: الحماية.. قال يسوعُ في صلاته: "لستُ أسألُ أن تأخذهم من العالمِ بل أن تحفظهم من الشريرِ". "ولستُ أسألُ من أجلِ هؤلاء فقط بل أيضاً من أجلِ الذين يؤمنون بى بكلامهم". وقال يوحنا: "إن أخطأ أحد فلنا شفيع".^٣ ثالثاً: الرعاية.. قال السيِّدُ المسيحُ: "أنا هو الراعى الصالح والراعى الصالح يبذلُ نفسه عن الخرافِ. خرافى تسمعُ صوتى وأنا أعرفها فتتبعننى وأنا أعطيها حياةً أبديةً ولن تهلكَ إلى الأبدِ ولا يخطفها أحدٌ من يدي".^٤

رابعاً: الضمان.. قرأتُ كتاباً بعنوان: "لماذا صرتُ مسيحياً؟" .. يحكى صاحبه عن نفسه أنه كانَ أستاذاً متبحراً في العلومِ الدينيةِ.. قضى سنيناً من عُمره يُحاربُ المسيحيةَ.. كانَ يقرأُ الكتابَ المُقدَّسَ عساه يجدُ فيه ما يُقنعُ به المسيحيينَ أنهم يتبعون ضلالاتٍ.. نصحه يوماً أحدُ أصدقائه ألا يقرأَ الكتابَ المُقدَّسَ حتى لو كانَ الغرضُ من ذلك البحثَ عن شيءٍ به يعارضُ المسيحيةَ.. لأنه يعرفُ آخرين قرأوه لنفسِ الغرضِ فصاروا مسيحيينَ.. اعترضَ على صاحبه بالقول: لن أكونَ واحداً من هؤلاء.. واستمرَّ يقرأُ الكتابَ المُقدَّسَ حتى بهرهُ نورٌ لم يكن يتوقعه!.. إذ اكتشفَ أن بالكتابِ المُقدَّسِ ضماناتٌ أكيدةٌ للحياةِ الأبديةِ!.. أعلنَ مسيحيتهُ واعترفَ أنه وجدَ في المسيحِ وحدَه الضمانَ والأمانَ لأخريتهِ.. فالمسيحُ يضمنُ ما لا يضمنه آخر غيرُهُ وهى الحياةُ الأبديةُ لكلِّ مَنْ يؤمنُ بهِ.

عزيزى القارئ: ليتك تعطى قرارك الآن قبل فوات الأوان. فالقرارُ لمستقبلك الأبدى لك وحدك. أدعوك لتتشاركَ معى في تلك الصلاة: أبانا السماوى.. أومن أنك أرسلت الابن الوحيد يسوع المسيح إلى العالم. وأنه جاء ليخلص الخطاة الذين أحببتهم ومنهم أنا. أعترفُ أنني خاطئ. أسألكَ غفراناً وخلصاً من خطاياى. ولتحفظنى ثابتاً فى محبتك.. أرفعُ صلاتى فى اسم يسوع مُخلصى واثقاً من استجابتك يا مَنْ قلت: مَنْ يُقبلُ إلىَّ لا أخرجهُ خارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إن أردتَ سماعَ تلك الرسالةِ أو غيرها فستجدُ ذلك فى:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^٢ سفر أعمال الرسل ٢: ٢١ & ٩: ٦ ، إنجيل لوقا ١٨: ٩-١٤ ،

^١ إنجيل لوقا ٧: ٣٨ ، رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٥: ١٧ ، سفر المزامير ٥١: ١٠ ، إنجيل يوحنا ١٥: ٥

^٢ إنجيل يوحنا ١٧: ١٥-٢٠ ، رسالة يوحنا الرسول الأولى ٢: ١

^٣ إنجيل يوحنا ١٠: ٢٧، ١١، ٢٨ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٢: ٨-١٠